

تفسير البحر المحيط

@ 120 @ قابله بقوله { إِنْ تَرَنْ أَنْزَا أَقْلَّ مِّنْكَ مَالًا وَلَا دَارًا } وهذا على عادة الكفار في الافتخار بكثرة المال وعزة العشيرة والتكبير والاعتزاز بما نالوه من حطام الدنيا ، ومقالته تلك لصاحبه بإزاء مقالة عينة والأقرع للرسول صلى الله عليه وسلم) : نحن سادات العرب وأهل الوبر والمدر ، فنحن عنا سلمان وقرناءه . . . وعنى بالنفر أنصاره وحشمه . وقيل : أولاداً ذكوراً لأنهم ينفرون معه دون الإناث ، واستدل على أنه لم يكن أخاه بقوله : { وَأَعَزُّ نَفَرًا } إذ لو كان أخاه لكان نفره وعشيرته نفر أخيه وعشيرته ، وعلى التفسيرين السابقين لا يرد هذا . أما من فسر النفر بالعشيرة التي هي مشتركة بينهما فيرد ، وأفرد الجنة في قوله { وَدَخَلَ جَنَّاتٍ } من حيث الوجود كذلك لأنه لا يدخلهما معاً في وقت واحد . . . وقال الزمخشري : فإن قلت : لم أفرد الجنة بعد التثنية ؟ قلت : معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها ، يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ، ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما انتهى . . . ولا يتصور ما قال لأن قوله ودخل جنته إخبار من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنته فلا بد أن قصد في الإخبار أنه دخل إحدى جنتيه إذ لا يمكن أن يدخلهما معاً في وقت واحد ، والمعنى { وَدَخَلَ جَنَّاتٍ } يري صاحبه ما هي عليه من البهجة والنضارة والحسن . { وَهُوَ طَالِمٌ لِّنَفْسِهِ } جملة حالية أي وهو كافر بنعمة ربه مغتر بما ملكه شاك في نفاذ ما خوله . وفي البعث الذي حاوره فيه صاحبه ، والظاهر أن الإشارة بقوله { هَآؤِهِ } إلى الجنة التي دخلها ، وعنى بالأبد أبد حياته وذلك لطول أمله وتمادي غفلته ، ولحسن قيامه عليها بما أوتي من المال والخدم فهي باقية مدة حياته على حالها من الحسن والنضارة ، والحس يقتضي أن أحوال الدنيا بأسرها غير باقية أو يكون قائلاً بقدوم العالم ، وأن ما حوته هذه الجنة فنيت أشخاص أثمارها فتخلفها أشخاص آخر ، وكذا دائماً . . . ويبعد قول من قال : يحتمل أن يشير بهذه إلى الهيئة من السموات والأرض وأنواع المخلوقات ، ودل كلامه على أن المحاورة التي كانت بينهما هي في فناء هذا العالم الذي هذه الجنة جزء منه ، وفي البعث الآخروي أن صاحبه كان تقرر له هذان الأمران وهو يشك فيهما . . . ثم أقسم على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وقياس الأخرى على الدنيا وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا تطمعاً ، وتمنياً على الله ، وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده ، وأنه ما أولاه الجنتين في الدنيا إلا لاستحقاقه ، وأن معه

هذا الاستحقاق أين توجه كقوله { إِنْ لَّمْ يَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَعَلَّاهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَعَنَ اللَّهُ فِتْنَتَهُمْ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ } . . .

وأما ما حكى الله تعالى عما قاله العاص بن وائل لأوتين مالاً وولداً فليس على حد مقالة هذا لصاحبه لأن العاصي قصد الاستخفاف وهو مصمم على التكذيب ، وهذا قال ما معناه إن كان ثم رجوع فسيكون حالي كذا وكذا . وقرأ ابن الزبير وزيد بن علي وأبو بحرية وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن وحמיד وابن مناذر ونافع وابن كثير وابن عامر منهما على التثنية وعود الضمير على الجنيتين ، وكذا في مصاحف مكة والمدينة والشام . وقرأ الكوفيون وأبو عمرو { مِنْهُمْ } على التوحيد وعود الضمير على الجنة المدخولة وكذا في مصاحف الكوفة والبصرة ، ومعنى { مِنْهُمْ } مرجعاً وعاقبة أي منقلب الآخرة لبقائها خير من منقلب الدنيا لزوالها ، وانتصب { مِنْهُمْ } على التمييز المنقول من المبتدأ . . .

{ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نَّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ سَوًّا كَرِيمًا * هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَا يُولُوا إِلَّا ذُو دَخَلٍ مِّنْ جَنَّةٍ مَّا يَدْخُلُهَا * هُوَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنُّمًا أَقْلًا مِّنْكَ مَالًا وَلَوْلَدًا { . (سقط : فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها